



## بنية العنف لدى جماعة الإخوان المسلمين في مصر: النظام الخاص نموذجاً

# The violent structure of the Muslim Brotherhood in Egypt: the special organization as a model

طارق حمو

طالب دكتوراه علوم سياسية في الأكاديمية العربية في الدنمارك

[bavesilan@hotmail.de](mailto:bavesilan@hotmail.de)

تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢١ / ١٢ / ٢٦

تاريخ التقديم للنشر: ٢٠٢١ / ١١ / ٤

### الملخص:

رأت جماعة الإخوان المسلمين المصرية، ومنذ زمن المؤسس والمرشد الأول حسن البناء، بأن البناء المتين للهيكـل التنظيمي، وصنع آليات الإدارة والترابط بين جميع تفرعات وشعب ومجموعات الجماعة، هو الضمان الأكيد لتفعيل دورها وتمدها في المجتمع المصري، ومن ثم تمكنها من الاستحواذ على السلطة وتطبيق برامجها في الأسلمة ودولة الشريعة. وقد أكد حسن البناء نفسه في رسائله وخطبه على أهمية الفكر التنظيمي لدى الجماعة، قيادات وقاعدة، وضرورة الالتزام والطاعة بكل الأوامر التي تأتي بشكل هرمي حسب آليات تنظيمية معروفة، لضمان الانضباط والتقيّد والتنفيذ، وهي الشروط اللازمة لبناء جماعة متماسكة وقوية، عصية على الاختراق والانشقاق والنشئت. لقد نظرّ البناء بشكل عقائدي، وعبر استخدام الآيات والأحاديث والسيرة، للتنظيم والتربية والانضباط والالتزام داخل الجماعة، وتحدث مراراً عن منات الكتائب والفرق المدربة، عسكرية الطابع، التي يريد أن يراها على أرض الواقع ليخوض بها وبأعضائها عباب البحر! وكان البناء يعلم بأن مرحلة الكمون والإدعاء بأن الجماعة هي تربية واجتماعية فقط، سوف تنتهي بمجرد استكمال الاستعدادات التنظيمية والبنى والآليات الفاعلة في الجماعة، إلى حين تمكنها من الحياة الاجتماعية والسياسية، وتحولها لرقم كبير قادر على التصدي للسلطة والمنافسة على الحكم والإدارة. ومن هنا جاء قرار البناء بتأسيس النظام الخاص، وهو تنظيم عسكري سري مغلق، وضع له البناء الأسس النظرية والمسوغات الشرعية في عدة رسائل وخطب خاصة، كما وضع له أهداف عامة معلنة، وأخرى سرية حقيقية يسعى التنظيم إلى الوصول إليها وتحقيقها. وقد أراد البناء للتنظيم الخاص أن يكون الجناح العسكري الضارب للجماعة، القادر على الرد على خصومها ومناوئها وحماية الدعوة، والتحول، لاحقاً، إلى جيش إسلامي في دولة الخلافة المنشودة التي تسعى إليها جماعة الإخوان المسلمين. وقام النظام الخاص بسلسلة من الاغتيالات والتصفيات وأعمال التخريب، وهو الأمر الذي ردت عليه الحكومات بعنف مضاد.



## **Abstract**

The Egyptian Muslim Brotherhood, since the establishment of the Brotherhood by its first leader Hassan Al-Banna, has been aware that the solid construction of the organizational structure, the creation of administrative mechanisms, and the relations between all groups and classes are crucial to activate and spread the Brotherhood in Egyptian society and to promote Islamization, which can be used to introduce Sharia as a legal system. Hassan Al-Banna himself has clearly emphasized the importance of the Brotherhood's organizational spirit and leaders in his speeches and letters. Moreover, he has emphasized the need for commitment and obedience to all hierarchical orders in accordance with organizational mechanisms, which are a necessary condition for a strong, united grouping that is desperately required. For this purpose, he made specific and ideological use of hadiths, verses, and biographies to establish discipline and commitment within the Brotherhood. Al-Banna was aware that the Brotherhood's claim to be educational and social would end once organizational preparations were complete and the Brotherhood was socially and politically able to prove itself as a competitive and governing force. For this reason, Al-Banna decided to establish a special organization. This was a closed, secret military organization whose theoretical and legal foundations he laid in several secret letters and speeches. This secret organization was to become the military wing of the Brotherhood and protect and defend the Brotherhood from its opponents and then be degraded to an Islamic army in the caliphate state sought by the Brotherhood. his secret organization carried out a series of assassinations, liquidations, and acts of sabotage, to which the government always responded with counter violence.

## **مصطلحات الدراسة:**

جماعة الإخوان المسلمين، حسن البناء، الهيكل التنظيمي، النظام الخاص، التمكين، عبد الرحمن السندي، جمال عبد الناصر.

## مقدمة:

أولت جماعة الإخوان المسلمين قضايا التنظيم وطرق وأساليب حشد جموع المسلمين داخل أطر وصفوف الجماعة أهمية كبيرة. وعملت الجماعة، منذ البدايات، على التفنن في الاستقطاب وال جذب، و رص الصفوف، وتأطيرها ضمن مجموعات منظمة تتلقى أفكار وتوجيهات الجماعة أولاً بأول، وتخضع للمرشد ولمجلس شورى الجماعة بالطاعة والولاء التام. لقد اهتم حسن البنا بقضية التنظيم ووسائل التأطير داخل مختلف طبقات وفئات المجتمع، فالحصول على أكبر عدد ممكن من الأعضاء وتنظيمهم وترتيبهم ضمن مجموعات وأطر موجهة، وربط هذه الأطر بقيادة الجماعة، كان هو الأساس الذي استند عليه البناء والرعي الأول في الجماعة، في التمدد داخل صفوف المجتمع وال جماهير، وكسب الأعضاء المتشبعين عقائدياً بفكر الجماعة، ومن ثم العمل على تشكيل شخصية هؤلاء الأعضاء، و صقلها، وتطويعها وتوجيهها وفق ما تقتضيه المصلحة والفائدة، بما في ذلك اختيار نخبة منتقاة تكون نواة النظام الخاص/ الجهاز السري، تخضع للمرشد وتنفذ أوامره دون نقاش أو اعتراض. وكان النظام الخاص هو خلاصة العقل التنظيمي والإداري للبناء، فهو تنظيم سري عسكري مغلق، قائم على الولاء والطاعة العمياء، وينفذ قاداته وأعضاءه أوامر وتعليمات المرشد دون نقاش أو اعتراض أو تردد. وعبر متابعة مسيرة جماعة الإخوان المسلمين، يلاحظ مدى الدور الكبير للنظام الخاص في تشكل الأحداث و بروز الصدام العسكري مع الحكومات المختلفة، فضلاً عن الانشقاقات عنه وظهور الحركات الجهادية المعتمدة على العنف المفرط.

## أهمية البحث:

تأتي أهمية الدراسة من حيث متابعتها للفكر التنظيمي والإداري لدى المرشد المؤسس حسن البنا منذ تاريخ تأسيسه لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨. ومن ثم تسليط الضوء على الأسس الفكرية والعملية لبناء الهيكل التنظيمي. كذلك تتعرض الدراسة إلى النظام الخاص، وهو الهيكل التنظيمي السري العسكري، الذي أرادت له الجماعة أن يكون ذراعها العسكرية و هراوتها لضرب الخصوم والمناوئين وترويعهم. وتعتمد الدراسة على مجموعة من المصادر التي بحثت في الهيكل التنظيمي والنظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين المصرية، محاولة الاستفادة منها في ما يخص التعرف على أفكار حسن البنا والتشكل التاريخي للهيكل التنظيمي، والإطلاع على شهادات بعض قادة وكوادر النظام الخاص، ومن ثم بناء تحليل على كل ذلك، واستخلاص النتيجة ومعرفة مسببات وجود هذا الفكر وهذه العقلية الصارمة المتشددة في بناء الهيكل التنظيمي والاصرار عليه، ومن ثم تشكيل النظام الخاص السري ومنحه صلاحية تنفيذ أعمال الاغتيالات والتصفية والتخريب. كذلك تكمن أهمية البحث في التعرف على الأثر الذي تركته أعمال العنف التي مارسها النظام الخاص على جماعة الإخوان المسلمين وعلى الدولة المصرية وموقف الجيش وقوات

الأمن والشرطة، التي اختارت الرد ولجئت إلى العنف المضاد، وتحويل العلاقة بين الجماعة والدولة إلى علاقة صدامية، عنيفة، قائمة على القوة والردع.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على النظام الخاص أو الجهاز السري لدى جماعة الإخوان المسلمين، من حيث البدايات والتركيب والأهداف والأعمال. ويمكن اختصار أهداف البحث في النقاط التالية:

- ١- معرفة وتحليل الدوافع وراء قرار حسن البنا تأسيس النظام الخاص.
- ٢- ماهية الأسس الفكرية والمنطلقات الشرعية والنظرية التي سوغ عبرها البنا تأسيس هذا النظام العسكري.
- ٣- معرفة الأهداف الحقيقية والسرية من وراء تأسيس النظام الخاص، والإطلاع على الأهداف المعلنة لجماعة الإخوان والرأي العام، ودراسة كل منهما لمعرفة نقاط التعارض والاختلاف.
- ٤- الإطلاع على بدايات تشكّل النظام الخاص، ومعرفة آليات التجنيد وال جذب، وتحليل فكر العسكرة لدى حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين منذ البدايات.
- ٥- دراسة دور النظام الخاص في الصراع السياسي بين جماعة الإخوان والعهد الملكي، وخلفيات أعمال الاغتيالات والتصفية، ورد فعل القصر والملك.
- ٦- الإطلاع على خلفيات ومراحل الصراع بين النظام الخاص وتنظيم الضباط الأحرار، بعد فترة محدودة وقصيرة من التفاهم والتعاون.
- ٧- أثر فترة السجن على بروز الفكر المتطرف الذي تبناه سيد قطب، وعرف بالفكر القطبي لاحقاً، وكان الأساس في تشكّل جماعات عنفية جهادية، تخطى نشاطها حدود الدولة المصرية.
- ٨- حضور دور النظام الخاص في فترات حكم السادات ومبارك وإعادة إحياءه على أيدي الكوادر القديمة.
- ٩- محاولة النظام الخاص في عهد محمد مرسي واستلام الإخوان الحكم، التحول لآلية للاستحواذ على مؤسسات الدولة والتغلغل فيها.

### مشكلة البحث:

جماعة الإخوان المسلمين التي رفعت خطاب الدعوة الإسلامية ونشر الفضيلة والدين، سعت في الحقيقة إلى السياسة، وعبر الاعتماد على الأساليب العنفية العسكرية، من خلال تأسيس النظام الخاص. لقد اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين بشكل كبير على النظام الخاص وخططه العسكرية في ارباب وترويع الخصوم والتخلص منهم، بغية الوصول إلى الحكم. ماهي الدوافع التي ساهمت في رهان الإخوان المسلمين على العنف، والظروف المحلية والدولية التي أدت لتعزيز هذه الدوافع، وكيف كانت آلية العمل

لدى النظام الخاص، وكيف ردت السلطات المتعاقبة، وما مدى انعكاس أعمال وهجمات النظام الخاص على مستقبل جماعة الإخوان المسلمين، وخط سيرها التطوري في التاريخ المصري؟.

### منهج البحث:

تم الاستعانة في الدراسة بالمنهج التاريخي وذلك بغية البحث في الأحداث والمجريات التاريخية التي وقعت في الماضي، وأثرت في بناء وتشكيل وآلية عمل النظام الخاص. وكذلك استعنا بالمنهج التحليلي وذلك لفهم الظروف والعوامل التي ساهمت في ظهور النظام الخاص وصدور ردود الأفعال على تلك الظروف والأحداث. وكان الهدف هو تحليل سياسة ونشاط النظام الخاص ومعرفة الأسباب التي دفعت إلى تأسيسه، وكذلك إلى نشاطه والأعمال العنيفة التي قام بها رداً على الحكومة وأجهزتها الشرطية والأمنية والعسكرية.

### الإطار النظري والدراسات السابقة:

تم الاعتماد في البحث على مجموعة من المصادر الأساسية في الموضوع، وذلك بغية تغطية كافة جوانبه الفكرية/ التأسيسية والمرحلية/ التطورية. وتعتبر هذه الدراسة محاولة أولية لفهم ماهية النظام الخاص ضمن جماعة الإخوان المسلمين، والاطلاع على الأسس الفكرية له والدوافع التي ساهمت في ظهوره، وكذلك الاطلاع على مراحل تطوره، ومدى اعتماد الجماعة عليه في تمرير أجندتها السياسية وتوطيد برامجها ورؤاها في خضم التنافس مع الحكومة والقوى السياسية الأخرى على السلطة. ومن هذه المصادر:

- ١- مجموع رسائل الإمام حسن البنا: وهي إصدار حديث يقع في ٩٤٤ صفحة (الطبعة الأولى ٢٠١٥) لمجموع خطب ورسائل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها الأول.
- ٢- كتاب (الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل/ الجزء الأول)، لمؤرخ جماعة الإخوان المسلمين محمود عبد الحليم. وهذا الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء ويتحدث بشكل مفصل عن مراحل تأسيس وتشكل الجماعة، ومن بينها شهادات عاشها المؤلف نفسه، باعتباره أحد قادة النظام الخاص في فترة التأسيس، وأحد القادة المهمين في الجماعة.
- ٣- كتاب (حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين)، تأليف محمود الصباغ، وهو من المصادر المهمة والرئيسية في موضوع النظام الخاص. والصباغ هو من قادة النظام الخاص، ومن الشخصيات المهمة في جماعة الإخوان المسلمين، وتمثل شهادته هذه مادة مهمة لمعرفة تطور عمل النظام الخاص، والأسباب التي كمننت وراء الأعمال والاعتقالات التي قام بها.

٤- كتاب (الإخوان المسلمون والتنظيم السري) للمؤرخ عبد العظيم رمضان، وهو من الكتب المهمة في ما يخص الاطلاع على محاضر الشرطة والتحقيقات في النيابة بخصوص الهجمات التي قام بها النظام الخاص.

٥- كتاب (النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور). من إصدارات مركز (تريندز) للبحوث والاستشارات في الامارات العربية المتحدة، وهي دراسة مهمة وحديثة للنظام الخاص والمراحل التطورية الأخيرة له.

#### المبحث الأول: الأسس والغاية المنشودة من النظام الخاص:

##### المطلب الأول: الأساس الفكري للنظام الخاص:

يعتبر النظام الخاص أو الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين نقلة نوعية في مسيرة الجماعة، وتحولاً بنوياً نحو العنف ومواجهة الخصوم بالقوة. إنه كذلك خلاصة تفكير وتدبير مؤسس الجماعة ومرشدها الأول حسن البناء. فالناظر في فكر البناء سيجد الأساس الفكري والنظري، وحتى التنظيمي، لتشكيل جهاز سري مسلح، أو جناح عسكري للجماعة، يحمل على عاتقه تنفيذ العمليات والمهام التي تراها الجماعة ضرورية بغية تحقيقها لأهدافها وبرامجها في الأسلمة والسيطرة على الحكم.

وكان البناء يعطي للقوة والتمكين أهمية كبيرة، ويرى بأن الجماعة يجب أن تكون قوية غير ضعيفة وعاجزة، بل قادرة على حماية نفسها والرد على الخصوم وردعهم، وتطبيق البرامج والأهداف بشكل سلمي، ولكن أيضاً بالتلويح بالقوة التي يجب أن تمتلكها بشكل غير علني، وهو ما يعني تأسيس النظام الخاص أو التنظيم السري الخاص للجماعة.

وعبر متابعة سيرة حياة حسن البناء، ومراقبة التطور الفكري الذي مر به، من خلال الرسائل والخطب التي تركها، نرى الإشارة الواضحة والمتكررة إلى القوة وأهميتها وإبراز دورها، وإيراد الآيات والأحاديث التي تشرعن الاعتماد على القوة وضرورة الأخذ بأسبابها، بل ووجوب ذلك. إذن الأساس الفكري والنظري لبناء جناح عسكري وتنظيم خاص مسلح كان متوفراً لدى البناء، ولكن الظروف والتطورات التي طرأت بعد تأسيسه للجماعة، هي التي حتمت عليه البدء بترجمة تلك الأفكار إلى حقيقة ومشروع معلن، وإصدار الأوامر لتأسيس هذا الجهاز، وقبل ذلك صياغة رسائل خاصة وخطب معينة للأعضاء والأنصار، بغية خلق بيئة فكرية وعقائدية للتهيئة والاستعداد لاستقبال الجماعة لهذا المولود الجديد.

ونستطيع هنا أن نشير إلى كل من رسالة المنهج ورسالة التعاليم عام ١٩٣٨ وخطاب حسن البناء في المؤتمر الخامس للإخوان عام ١٩٣٩، كتصريحات علنية وتعليمات واضحة وصريحة تمجد دور ووظيفة القوة، وتدعو الأعضاء والأنصار إلى الأخذ بأسبابها، في خضم بروز الحديث عن الفريضة الغائبة، ووجوب التحضير لجهد طويل وشاق، و" أريد بالجهد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصودة



بقول رسول الله (ص): " من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية". وأول مراتبه: إنكار القلب، وأعلاها: القتل في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر. ولا تحيا دعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين: (وجاهدوا في الله حق جهاده) { الحج:٧٨}. وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (الجهاد سبيلنا) " (١).

كما وتحدث البنا في رسالة التعاليم تلك عن طوري التكوين والتنفيذ في مسيرة الفعل الجهادي للجماعة، وقال فيهما " التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة - في هذا الطور - صوفي بحث من الناحية الروحية العملية، وشعار هاتين المرحلتين دائماً: (أمر وطاعة)، من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج، وتمثل الكتائب الإخوانية هذا الطور من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقاً، وهذه الرسالة الآن. والدعوة فيه خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً تاماً حقيقياً لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول هذا الاستعداد كمال الطاعة. والتنفيذ: والدعوة في هذا الطور جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذا الطور إلا كمال الطاعة كذلك " (٢).

وتتصف رسالة التعاليم بتضمين البنا لها تعليمات وواجبات لعضو الكتائب الذي يقوم على الجهاد والاستعداد لتطبيق القوة فيما لو أمر المرشد بذلك، " وتحدث البنا في رسالة التعاليم عن واجبات المجاهد (عضو الكتائب)، وعدد هذه الواجبات في ٣٨ واجباً اشتملت على نواحي تعبدية وثقافية وأخلاقية وسلوكية وصحية واجتماعية، وقد اشتملت بعض هذه الواجبات على نوع من التعصب وتشجيع للعزلة مما يقترب من فكرة التكفير والهجرة " (٣).

وفي رسالة المنهج عام ١٩٣٨، والتي فصل فيها البنا طرق وأساليب وهيكلية الكتائب المسلحة، تحدث أيضاً عن "الدعوة الخاصة"، والتي يقوم عليها أناس منتخبون ثقافة، سيوكل لهم المرشد وهيئة الإرشاد مهام محددة، دقيقة وصعبة، لتنفيذها، " طريق الإخوان المسلمين مرسومة محددة معروفة المراحل والخطوات، ليست متروكة للظروف والمصادفات، ومراحل هذه الطرق ثلاث: التعريف، والتكوين، والتنفيذ، أو الدعوة العامة، ثم الدعوة الخاصة، ثم العمل أو تغيير العرف العام، ثم الإعداد، ثم الإتمام " (٤).

(١) البنا، حسن: مجموع رسائل الإمام البنا، دار النداء. اسطنبول، تركيا، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٣) يوسف، السيد: الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٩. ص ٢٠٦.

(٤) البنا، حسن: مجموع رسائل الإمام البنا، مصدر سبق الإشارة إليه، ص ٢٤٨.

وفي الرسالة الموجهة إلى المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين عام ١٩٣٩، ركز البنا بشكل واضح وصريح على فكرة الجهاد ووجوب التعبئة في صفوف الإخوان بغية الاستعداد للتحرك ميدانياً في وجه الخصوم وفرض أجندة وبرامج جماعة الإخوان المسلمين فرضاً، وهنا قال " وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسماً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقم بكم عنان السماء. وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإنني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: " ولن تغلب أثنا عشر ألفاً من قلة " (١).

ويطالب البنا الإخوان المسلمين بالاستعداد للتضحية بالدم والمال بغية الانتصار للدعوة، وأن تكون حياتهم كلها تضحية وبذل وإنكار للذات في سبيل تحقيق أهداف الجماعة، وهذا لا يتم إلا بالجهاد والقتال حتى النهاية، " إن الإخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يوماً من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمر ضرورياتهم، فضلاً عن كمالياتهم والفائض من نفقاتهم، وأنهم يوم حملوا هذا العبء عرفوا جيداً أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال، فخرجوا عن ذلك كله لله " (٢).

وجاء أيضاً في رسالة المؤتمر الخامس، بأن السبيل الوحيد لفرض سطوة وسيطرة الجماعة، وإعلاء كلمتها على البقية، والنيل من الخصوم والأعداء، هو قوة الساعد والسلاح، أي فرض الوجود والأهداف بواسطة السلاح، لذلك لا بد من التعاضد والتكاتف ونبذ التفرقة، بغية رص الصفوف وحشد الطاقات لكي يكون السلاح فاعلاً للنيل من الأعداء والخصوم والتمكن منهم، لذلك فالإخوان " يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة خاملة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك " (٣).

إذن فرسالتى التعاليم والمؤتمر الخامس كانتا تقومان على الترويج للجهاد والدعوة المباشرة للأعضاء بالاستعداد لبذل الدم في سبيل تحقيق أهداف الدعوة/ الجماعة، وطبعاً فإن التأطير سيكون في النظام الخاص، والذي يجب أن يكون الولاء والطاعة ضمنه للمرشد حصراً، " ثمة اتفاق لدى الباحثين في أدبيات الإسلام السياسي على أن مبدأ الجندية وثقافة السمع والطاعة التي حرص البنا على غرسها في صفوف أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، كانت تمهيداً عملياً لتأسيس النظام الخاص " (٤).

(١) المصدر السابق. ص ٣٤٠.

(٢) نفس المصدر. ص ٣٤٧.

(٣) نفس المصدر. ص ٣٤٩.

(٤) مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور. مركز تريندز للبحوث والاستشارات، أبو ظبي. الإمارات. الطبعة الأولى ٢٠٢٠. ص ٤٦.

وفي رسالة الجهاد التي كتبها عام ١٩٤٧، تحدث حسن البنا عن صناعة الموت، أي السعي للموت ضمناً لاستمرار الجماعة وإنجاح مشروعها في الحكم ودولة الشريعة، " أن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أدلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة " (١).

وعليه فإن أفكار وكلمات مثل "صناعة الموت"، و"بذل الدم والروح" و"الطاعة العمياء" للمرشد، والتي جاءت في رسائل التعاليم والمؤتمر الخامس والجهاد، كانت الأساس وكذلك الأوامر من قبل البنا بتشكيل النظام الخاص، والتأطر فيه وإنتظار الأوامر، " كان التنظيم فكرة ومشروع حسن البنا، وجاء تأسيسه تعبيراً عن جانب أساسي في تفكير وشخصية حسن البنا، فهو من البداية لم يكن يؤسس جماعة دعوية بالمعنى التقليدي. من البداية كانت عينه على السلطة " (٢).

وهنا نجد بأن الأساس الفكري والشرعي لظهور النظام الخاص قد تم وضعه عبر رسائل البنا الثلاثة الآتية، بغية تهيئة الكوادر والأعضاء القياديين والعناصر الملتزمة المخلصة، والمستعدة لبذل الروح والدم والمال، بهدف إنجاح رسالة الإخوان ومشروعهم في السيطرة وفرض دولة الشريعة والخلافة. والتضحية ستكون ضمن أطر وكتائب النظام الخاص السري، والذي سيكون طوع بنان المرشد، ينتظر أوامره لضرب الخصوم والمناوئين، بغية إضعافهم وترهيبهم، وإزالتهم من طريق الدعوة بقوة السلاح.

### المطلب الثاني، أهداف النظام الخاص:

هناك آراء مختلفة حول الأهداف والغايات التي أنشأ التنظيم الخاص من أجل تحقيقها. فحسن البنا وضع عدة أهداف معلنة للتنظيم، كانت معلومة لبقية أعضاء الجماعة كذلك مثل محاربة الاستعمار البريطاني والتصدي لليهود في فلسطين ومنعهم من إقامة دولة إسرائيل، " أصبح من المعروف اليوم أن النظام الخاص أو التنظيم السري هو مجموعة عسكرية أسسها حسن البنا لإعداد الشباب المسلم لمواجهة الصهيونية في فلسطين والانكيز في القناة " (٣).

وكان المعلوم والمعلن عنه بين أعضاء وعناصر الجماعة من أن الهدف من وراء قرار تشكيل الجناح العسكري أي النظام الخاص، كان من أجل مجابهة البريطانيين المحتلين لمصر، والتصدي لليهود الساعين لبناء دولة لهم في فلسطين، وهذا ما أعلن عنه العديد من قادة الجماعة المطلعين على الاجتماعات الخاصة وتصريحات حسن البنا في ما يخص إنشاء جهاز سري مسلح للجماعة، " مبلغ علمي أن النظام الخاص

(١) البنا، حسن: مجموع رسائل الإمام البنا، مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٦١٦.

(٢) النمنم، حلمي: حسن البنا الذي لا يعرفه أحد. مكتبة مديولي، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١١. ص ٥٣.

(٣) المولى، سعود: الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين. مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠١٢. ص ٩١.

الذي يسميه البعض بالجهاز السري إنما انشئ لتدريب الراغبين في الجهاد عن طريق العمل الفدائي في فلسطين أولاً، ثم في مصر ضد الاحتلال البريطاني لمنطقة قناة السويس " (١).

لكن هناك من يتحدث عن أهداف خفية وغير معلومة ومعلنة للتنظيم مثل التحول لذراع عسكرية ضاربة للجماعة، وملاحقة وضرب الخصوم السياسيين وارهابهم، والتغلغل في مؤسسات الدولة من جيش وشرطة وأجهزة أمنية، ضمن خطة أكبر هي الاستحواذ والسيطرة والتمكين لإستلام الحكم وتطبيق برامج الأسلمة وتحقيق دولة الشريعة والخلافة، " ومنذ بدء ظهور التنظيم السري العسكري في أواخر الثلاثينات ومطلع الأربعينيات (١٩٤٢)، تحت فكرة أنشأها الأستاذ حسن البنا غفر الله له، تقوم على ثلاثة أهداف، وهي: ١- شن الحرب على الاستعمار البريطاني في نفوذه وجيوشه. ٢- قتال الذين يخاصمون الدعوة، ويحاولون إعاقة سيرها. ٣- إحياء فريضة الجهاد " (٢).

ولكن حجة البنا في التصدي للإحتلال البريطاني ومنعه من تقديم العون والدعم لليهود في فلسطين، عبر تسليح جماعة الإخوان المسلمين وجعلها هي رأس الحربة في مقاومة المشروع الصهيوني، ووقف الاعتماد على الجيوش العربية، كانت بارزة أثناء تبرير قرار الجماعة إنشاء تنظيم عسكري سري مسلح، " أدرك الأستاذ المرشد أن قضية فلسطين هي قضية الإخوان المسلمين، وأن الأنجليز بتواطئهم مع اليهود لن يعدلوا عن خطتهم ويسلموا البلاد لأهلها إلا مكرهين، وعلم الأستاذ المرشد أن الأنجليز يسلمون عصابات اليهود، وأنه لا بد من معركة فاصلة بين الإخوان المسلمين وبين هذه العصابات ما دام الإخوان مصريين على تحرير هذه البلاد وإنقاذ المسجد الأقصى الذي هو هدف اليهود الأصيل " (٣).

وأيضاً كانت تتكرر حجة تواطؤ الأنظمة العربية مع الاستعمار البريطاني، وعدم جديتها في محاربة اليهود في فلسطين، وضعف وإنكفاء الجيش المصري عن حماية المسلمين من اليهود، وهو الأمر الذي وضع على كاهل جماعة الإخوان المسلمين مهمة الدفاع عن المسلمين هناك ومنع البريطانيين وحلفائهم اليهود من بناء اسرائيل والسيطرة على المقدسات الإسلامية في فلسطين، " وأدرك الأستاذ المرشد أن الحكومة المصرية والحكومات العربية حكومات ضعيفة هزيلة متخاذلة بل متواطئة، وأن ليس في البلاد العربية جيوش سوى الجيش المصري، ولكن هذا الجيش من الهزال والجهل وعدم الخبرة بحيث لا يقوى على مواجهة عصابات اليهود المدربة المسلحة بأحدث أسلحة الإنجليز والأميركان والتي تحارب عن

(١) الباقوري، أحمد حسن: بقايا ذكريات، مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٨٨. ص ٧٠.  
(٢) الشحري، أبو العباس: التنظيم السري السياسي العسكري عند الإخوان المسلمين بأقلامهم، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٠. ص ١٢.  
(٣) عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل. الجزء الأول. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٩٤. ص ٢٥٨.

عقيدة مستمدة من دينهم.. أدرك الأستاذ المرشد هذا أيضاً فكان ذلك حافزاً على سرعة الاستعداد بتكوين النظام الخاص " (١).

ووضع البنا نصب عينيه تحويل الصراع مع البريطانيين المحتلين لمصر واليهود الساعين لبناء دولة قومية لهم في فلسطين إلى صراع ديني، والتركيز على المقدسات الإسلامية مثل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، من أجل استثمار مشاعر المسلمين داخل وخارج مصر، وتثويرهم وجذبهم إلى الجماعة، وبذلك تقوية بنية النظام الخاص، والذي تعهد البنا أمام الأعضاء والأنصار بتحويله إلى جيش إسلامي قوي، يحل محل الجيوش العربية كافة، ويقوم بدورها في مقارعة اليهود والبريطانيين والدفاع عن فلسطين ومقدساتها الإسلامية في وجه مخططات هؤلاء الرامية إلى إقامة الدولة اليهودية، " تكوين جيش مسلم: كانت وسيلة التنفيذ باتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله واضحة ظاهرة، حيث لا بد لمقاتلة العدو، من جيش مسلم معد بسلاح يتناسب مع أسلحة العدو، ولكن قدر الاستطاعة، فلم يكلفنا ربنا غير حدود الاستطاعة، وكان النصر مؤكداً لو أننا صدقنا الله، فذلك وعده المحتوم لمن ينصره من الصادقين " (٢).

والمتابع للتاريخ التطوري للنظام الخاص سوف يكتشف بأن الأهداف المعلنة للتنظيم لم تكن في سلم الأولويات الحقيقية للقائمين عليه، وإن أهداف التنظيم المعلنة كانت تخفي وراءها أهداف أخرى سرية غير معلنة، انشغل التنظيم في السعي وراءها والتركيز عليها، وهي تفعيل القوة وضرب الخصوم في الداخل بغية التمكين والوصول للحكم. إن نظرة في المسيرة التاريخية للنظام الخاص تقول بأن السعي للحكم وتحقيق الأسلمة ودولة الخلافة، كانت هي الأهداف الحقيقية للإخوان المسلمين من وراء بناء هذا الجهاز العسكري السري، رغم نفي قيادات وأعضاء التنظيم والجماعة والمؤرخين القريبين منها لهذا الأمر، وتأكيدهم على الأهداف السامية للجماعة من وراء قرارها تأسيس الجناح العسكري، مثل محاربة "العدو الخارجي"، وليس "العدو الداخلي"، وعدم سفك دماء المصريين في عملياته وهجماته، " كانت فكرة الإمام حول هذا النظام تقوم على تكوين مجموعة من الإخوان الشبان المخلصين - أي من صفوة الإخوان - لا يزيد عددهم على عشرين شخصاً، يتلقون تدريباً عسكرياً يشبه تدريب فرق الصاعقة في الجيوش الحديثة، وتكون مهمتهم حماية ظهر الدعوة من أعدائها من الكفار. ولم يكن في فكر حسن البنا أن يقتل مسلماً أو مصرياً يقول لا إله إلا الله، أو يعتدي على منشآت مصرية أو يعمل بها مصريون " (٣).

ورغم ورود وتكرار مثل هذه الادعاءات إلى أن الهدف من وراء التنظيم، وبمنظرة على الأهداف التي ركز عليها التنظيم نفسه، كان السعي للسلطة عبر استهداف الخصوم وترويع رجالات الدولة ومسؤوليها، وخلق جو من الإرهاب والخوف، بغية توطيد حضور واقتدار قوي للجماعة تمهيداً للتصدر والسيطرة على

(١) المصدر السابق. ص ٢٥٨.

(٢) الصباغ، محمود: حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين. دار الاعتصام. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٨٩. ص ٣٤.

(٣) عساف، محمود: مع الإمام الشهيد حسن البنا، إصدار خاص. الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص ١٣٧.

الحكم، " أنشئ النظام الخاص بهدف: ١- محاربة المحتل الانجليزي داخل القطر المصري. ٢- التصدي للمخطط الصهيوني اليهودي لاحتلال فلسطين. وذلك وفقاً لقادة الجماعة، لكن الهدف الحقيقي للتنظيم الخاص تجاوز هذين الهدفين ليكون أداة الجماعة في مواجهة خصومها السياسيين، والوسيلة لتمكينها بالقوة وصولاً إلى الحكم والسلطة " (١).

ومن الواضح هنا النزعة الانتقامية للجماعة من وراء تشكيل النظام الخاص، والذي أريد له ان تكون الهراوة الغليظة ضد "الخونة" و"الأذئاب" وغيرهم من الأعداء في عرف الجماعة، وهم تشكيلة واسعة من المناوئين لمشروع الإخوان، " أدرك الأستاذ المرشد بحاسة القيادة التي وهبه الله إياها أن أعداء الدعوة التقليديين وهم المستعمرون وعلى رأسهم الانجليز ثم أذئابهم من الحكام المصريين الذين هم اليد التي تبطش بها هذا المستعمر... أدرك أن هؤلاء الأعداء هم للدعوة بالمرصاد، وأن الدعوة يجب أن لا تكون فريسة سهلة باردة لهم، بل أن تكون ذات شوكة لا يسهل التهامها..ومن هنا نبنت فكرة "النظام الخاص" للدفاع عن الدعوة " (٢).

اذن يتضح هنا بأن النظام الخاص أنشأ لتنفيذ أهداف حددتها الجماعة، ولكنها اخفتها عن الرأي العام وعن أعضائها ومؤيديها من القاعدة الجماهيرية. وكانت هناك أهداف معلنه وهي محاربة اليهود ومنعهم من إقامة دولة في فلسطين، ومقاومة الاحتلال البريطاني لمصر، في ظل تركيز جماعة الإخوان على عجز الجيش المصري عن القيام بهذه المهام. ولكن الأهداف الأخرى المضمرة، والتي ظهر بأنها هي المهمة والدافع الأساسي وراء تأسيس التنظيم، كانت تدور في دائرة مصالح الجماعة ورؤيتها للواقع السياسي، وطموحاتها في الاستئثار بالسلطة، وضرب مناوئها وترويعهم إنما تطلب الأمر كذلك. أي أن التنظيم الخاص أريد لها أن يكون أداة مسلحة لتنفيذ أجندة سياسية لجماعة تنشد السلطة والحكم، ليس أكثر.

### المبحث الثاني: مراحل تطور النظام الخاص:

#### المطلب الأول، النشأة والتأسيس:

ظهرت بدايات التسليح مبكراً لدى جماعة الإخوان المسلمين. ويمكن القول بأن المحاولات الأولى عبر تأهيل الأعضاء بدنياً، وتدريبهم وتأطيرهم ضمن فرق ومجموعات منضبطة، وإخضاعهم لشروط حياتية تشبه شروط وظروف حياة الجنود في معسكرات الجيش، كانت الإرهاصات الأولى للظهور الحقيقي والتبلور النهائي للنظام الخاص. وفي هذا المطلب سيتم الحديث عن التطور التدريجي لفكرة العسكرة داخل جماعة الإخوان المسلمين.

من المهم القول إنه في عام ١٩٣٤ ظهرت فكرة فرق الرحلات، وعُرضت الفكرة على المؤتمر الثالث لمجلس شورى الجماعة، فتم إقرارها. وهذه الفرق، وإن كانت غير مسلحة علناً، إلا أنها كانت تتحرك

(١) مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة، الأهداف، التطور، مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٨٦.

(٢) عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل. الجزء الأول، مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٢٥٨.

وكأنها مجموعات من الجنود، تعيش وفق حياة الجندية المنضبطة والمستعدة لتلقي الأوامر من قياداتها للتحرك، " كانت فكرة الجهاد، والغزو، أو نية الغزو، وراء انشاء أو تطوير فرق الرحلات بالشكل الذي انتهت إليه. وفي الفترة من عام ١٩٣٤ إلى ١٩٣٧ كانت هذه الفرق قد نمت إلى الحد الذي قرر فيه البنا أن يقيم عرضاً للقوة - القوة في خدمة القصر وليس في خدمة القوى الديمقراطية - وكان ذلك بمناسبة قدوم الملك فاروق إلى القاهرة في يوليو ١٩٣٧. فقد قرر الاشتراك في هذه المناسبة، ووصفت مجلة الإخوان المسلمين هذا الاشتراك وصفاً مثيراً تحت عنوان: " حشد لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديثة"، وفي هذا الوصف أطلقت الجريدة على "فرق الرحلات" أسم "الفرق العسكرية" أول مرة " (١).

وبعد تجربة فرق الرحلات والكشافة، ظهرت فرق الجواله، وهي كانت الأكثر انضباطاً وتفرغاً للعمل، وبعدها البعض الأساس الأول للنظام الخاص، " كانت الجواله هي البداية الحقيقية. ولقد بذل البنا من جهده وإهتمامه الكثير من أجل دعم الجواله والكشافة، والحقيقة أن الهدف الأساسي للجواله لم يكن مجرد تكوين أداة ردة منظمة على أساس عسكري وانضباط صارم، وإنما كانت الجواله أيضاً "حقلًا" تتابع فيه أعين المرشد اليقظة العناصر الأكثر حماساً والأكثر إخلاصاً والأكثر طاعة وتلتقطها لتودعها في نواة خاصة " (٢).

ويتفق أغلب المؤرخين والباحثين في تاريخ مسيرة وتطور جماعة الإخوان المسلمين بأن البداية الصحيحة لتأسيس النظام الخاص كانت في مطلع عام ١٩٤٠، حيث أمر المرشد حسن البنا أشخاصاً محددين ومختارين بالاجتماع وبدء التحضيرات لإطلاق النظام الخاص المسلح، القادر على التحول لذراع عسكرية للجماعة والقيام بالمهام التي يراها المرشد مهمة وتصب في صالح الجماعة ومشروعها السياسي، " كان ذلك في عام ١٩٤٠ حين دعا خمسة منا هم صالح عشاوي وحسين كمال الدين وحامد شربت وعبد العزيز أحمد ومحمود عبد الحليم، وعرض علينا الدواعي التي رآها تقتضي الاستعداد وإنشاء نظام خاص تواجه الدعوة به مسؤولياتها في المستقبل... واقتنعنا برأيه، فكون منا نحن الخمسة قيادة هذا النظام، وعهد البنا بإنشائه وتنظيمه وتدريبه، على أن يكون على أساس من العسكرية الإسلامية القوية النظيفة، وعلى أن يحاط بالسرية المطلقة، بحيث لا يعرف عنه شيئاً إلا أعضاؤه، وعلى أن يكون تمويله من جيوب أعضائه لأن علامة الجد فيمن تقدم للتضحية بروحه أن يضحي بماله. ورتب القيادة بحيث يكون صالح عشاوي الأول باعتباره المتفرغ الكامل التفرغ، يليه كمال الدين حسين فمحمود عبد الحليم فحامد شربت فعبد العزيز أحمد " (٣).

(١) رمضان، عبد العظيم: الإخوان المسلمون والتنظيم السري. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٣. ص ٣٧ و٣٨.

(٢) السعيد، رفعت: حسن البنا الشيخ المسلح. قطاع الثقافة، القاهرة، مصر، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر. ص ١٥٨.

(٣) عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل، الجزء الأول. مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٢٥٨.

وقد وضع حسن البنا برنامج عمل وجهاد للمنضوين تحت لواء النظام الخاص، تقوم على أسس حياتية دينية وتربوية وأخرى عملية تتمحور حول التدريب الشاق البدني ومعرفة استخدام السلاح واتقان فنون القتال والمواجهة، وهذه الأسس هي: " ١- تقسيمهم إلى أسر - خاصة بهم - مع تسلسل القيادة مع اشتراكهم في جميع أوجه النشاط العامة للدعوة. ٢- دراسة عميقة مستفيضة للجهاد في الإسلام وما جاء بشأنه في القرآن الكريم من سور وآيات، وما جاء بشأنه في السنة النبوية والتاريخ الإسلامي القديم والحديث مع أخذ العضو نفسه بأنواع من العبادات والصيام. ٣- التدريب على الأعمال الشاقة. ٤- التدريب على توزيع المنشورات. ٥- التدريب على التخاطب والتراسل بالشفرة. ٦- التدريب على استعمال الأسلحة. ٧- المبالغة على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وكتمان السر" (١).

ولا بد من الإشارة إلى ماهية وكيفية طقوس أخذ البيعة من القادة والعناصر المنتقاة لدى قبولهم في صفوف النظام الخاص. وكان صالح عشاوي يشرف بشكل سري على تنفيذ هذه الطقوس الغربية، قبل أن يتم تسليم قيادة التنظيم إلى عبد الرحمن السندي، " قام أحمد حجازي إلى غرفة مجاورة ثم عاد ومعه عبد الرحمن السندي فعرنا به على إنه رقم (١) في هذا التنظيم، وبعد أن حدثنا عن النظام وأهدافه استوثق من استعدادنا، استدعاني عبد الرحمن السندي وحدي، فقمتم معه، وإذ بدأت أخطو إلى الغرفة المجاورة وقد أمسك بيدي فوجئت بها في ظلام دامس، وقد فاح في أرجائها روائح البخور والعطور الشرقية، ثم أجلسني على الأرض. وجاء صوت الرجل الجالس في الظلام لا أتبين منه شيئاً، يذكرني بمادئ الدعوة التي جندنا أنفسنا لنصرتها وإلى أن الجهاد من أركانها وهو سبيلها، وإلى أي أداء هذه البيعة أضع نفسي تحت تصرف القيادة سامعاً مطيعاً لأوامرها في العسر واليسر والمنشط والمكروه معاهداً على الكتمان وعلى بذل الدم والمال. وقد ذكر ثقة القيادة فينا ومع ذلك أشار إلى أن أي خيانة أو إفشاء سر سوف يؤدي إلى إخلاء سبيل الجماعة ممن يخونها. وبايعت على ذلك وقد مددت يدي فوضعتها على مصحف ومسدس، وقد وضع يده فوق يدي ولئن لم نر شخص الرجل، فلقد كان واضحاً من صوته أنه الأستاذ صالح عشاوي " (٢).

وقد انتقد العديد من رموز جماعة الإخوان المسلمين طقوس البيعة أثناء الانضمام للنظام الخاص، ومنهم القيادي عبد العزيز كامل، والذي أورد في مذكراته اعتراضه واستنكاره على الزام الأعضاء من قبل قيادة النظام الخاص بهذه الطقوس، " أذكر هذا حين كنت أنا في البيعة، ولم يكن الصوت غريباً عني، فقلت له مباشرة وسط الظلام: ما هذا يا أستاذ صالح؟! وهل من الإسلام أن أضع يدي في يد من لا أعرف؟! ثم أي أعرفك من صوتك، وأتحدث معك كل يوم!! ما هذه الأساليب التي ادخلتموها على عملنا، ولا أساس لها

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٢) كمال، أحمد عادل: النقاط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة، مصر. الطبعة الثانية ١٩٨٩. ص ١٣٧.



من ديننا؟! ورد الأستاذ صالح عشاوي حينها وكان وقتئذ عضواً في مكتب الإرشاد ورئيس تحرير مجلة الإخوان: هذا نظامنا " (١).

وكانت تنظيمات الرحلات والكشافة والجوالة قد وطدت خبرات جيدة، واستقطبت أعداداً كبيرة من شباب الإخوان المدربين على الحياة العسكرية، إلى الدرجة التي يمكن القول معها بأن جيشاً صغيراً بدأ يظهر تحت الأرض، مدرب ومتماسك، وولأوه لمرشد الجماعة فقط، " كان التنظيم الخاص في ظل قيادة محمود عبد الحليم وبالاتفاق مع الأستاذ حسن البنا، ضم بين جناحيه ٣٠٠ كتيبة، على أن تتكون كل كتيبة من ٤٠ فرداً حتى يبلغ العدد اثني عشر ألف فرد، حيث أن مؤسس الجماعة ومرشدها حسن البنا قد استند في تبريره هذا العدد الهائل على حديث شريف كان قد كرره على أسماع قادة التنظيم السري لتحفيزهم وتشجيعهم وهو: قال صلى الله عليه وسلم: لن ينهزم اثني عشر ألفاً من قلة " (٢).

وقد تصدرت شخصية عبد الرحمن السندي والتي ستلعب دوراً كبيراً في النظام الخاص، حيث كان يمثل صاحب القرار الأول والمبادر في إصدار أوامر الاغتيالات وأعمال التخريب والتصفية في البلاد، والتي حددت فيما بعد مصير الجماعة وعلاقتها مع الدولة المصرية، " ثم انتقلت قيادة التنظيم إلى عبد الرحمن السندي الذي أدخله محمود عبد الحليم الجماعة، ولما وثق به، قدمه للبنا باعتباره عضواً بالنظام الخاص ورشحه كبديل له في قيادة النظام الخاص على إثر نقله إلى دمنهور، ووافق المرشد وأخذ منه البيعة أمام محمود عبد الحليم ليقود النظام على ألا يقدم على أية خطوة عملية إلا بعد الرجوع إلى لجنة القيادة ثم إلى المرشد شخصياً (٣).

واستفاد الإخوان المسلمون من الحرب في فلسطين في تقوية النظام الخاص عسكرياً والنجاح في إكسابه لخبرات كبيرة في ميادين القتال مع الميليشيات اليهودية، وكان حسن البنا يعتبر مشاركة أعضاء وأنصار الجماعة في حرب فلسطين بمثابة مرحلة إعداد وتحضير واختبار للجيش الإسلامي الذي يُراد للنظام الخاص أن يكون نواته الأولى. وفعلاً جاءت أعمال التصفية والاغتيالات والتخريب في الداخل المصري بعيد عودة الكوادر والقيادات الميدانية الإخوانية من الحرب في فلسطين، بعد حصولهم على خبرات لا يستهان بها في المعارك والمواجهات هناك " الإخوان المسلمون المصريون بالإضافة إلى دورهم الكبير في التعبئة الإعلامية وجمع التبرعات والأسلحة، فقد أبدوا استعدادهم الجاد قبل بدء المعارك بإرسال دفعة أولى من ١٠ آلاف مجاهد إلى فلسطين، وهي أكبر من بعض الجيوش العربية، (...) وقام الإخوان المسلمون المصريون بدور مشهود في حرب فلسطين، اعترف لهم به كل من كتب عن هذه الحرب، وبرز أثرهم في جنوب فلسطين في مناطق غزة ورفح وبئر السبع، حيث كانوا يهاجمون المستعمرات، ويقطعون

(١) كامل، عبد العزيز: في نهر الحياة. المكتب المصري الحديث. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠٠٦. ص ٥٧.

(٢) القاسمي، خالد بن محمد مبارك: الإخوان المسلمون من التكوين إلى التمكين. دار الكتب والدراسات العربية. الاسكندرية، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٦. ص ١٢٢.

(٣) يوسف، السيد: الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر، مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

مواصلات العصابات الصهيونية. ومن أبرز المعارك التي شاركوا فيها معركة التبة ٨٦، التي يذكر العسكريون أنها من حفظت قطاع غزة عربياً، ومعركة كفار داروم، واحتلال مستعمرة ياد مردخاي، كما اسهموا بدور مهم في تخفيف الحصار عن القوات المصرية المحاصرة في الفالوجة " (١).

وكانت السلطات الملكية تعلم مدى اهتمام الإخوان المسلمين وحسن البنا بالصراع في فلسطين، ومدى التحضيرات التي تقوم بها الجماعة من حشد وتجنيد وتدريب للعناصر وتأهيلها بغية إرسالها لـ "الجهاد" في فلسطين، وكان الطرفان، الإخوان والحكومة، يذيعان غير ما يضمنان، ويحتفظان بنواياهما الحقيقية من وراء قضية الحرب في فلسطين، " كان الستار الذي يخفي تحته الإخوان المسلمون تدريبهم واستعدادهم، وتخفي الحكومة بدورها تغاضيها عن هذا التدريب والاستعداد، هو قضية فلسطين. وقضية فلسطين هي شعار حقيقي بالنسبة للإخوان، ولكنه ستار مزيف بالنسبة لحكومة صدقي باشا وحكومة النقراشي باشا التي خلفتها. بمعنى أن هذه القضية كانت تقدم بالنسبة لشباب الإخوان محوراً إسلامياً مثالياً يستقطب اهتمامهم، ومجالاً حقيقياً للجهاد تفرغ فيه شحنة حماسهم " (٢).

ومن جهتها فقد كانت جماعة الإخوان المسلمين تستغل كذلك وجود الاحتلال البريطاني لمصر، ومشروعية مقاومته باعتباره قوة اجنبية محتلة ومن الوطنية والدين مقاومتها، في توطيد أركان النظام الخاص وبناء خلاياه وأفرعه، " نجحت جماعة الإخوان المسلمين في توظيف الاحتلال البريطاني في تحقيق مصالحها الخاصة، وذلك بإضفاء المشروعية على تنظيمها الخاص، والمضي قدماً في تطوير قوته وتعزيزها، بدعوى مقاومة المحتل، لكن الهدف الحقيقي كان تهيئة الجهاز ليكون الذراع العسكرية والأمنية، وأداتها في تنفيذ مشروعها السياسي والوصول إلى السلطة " (٣).

ونستنتج مما سبق بأن جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها حسن البنا بدءاً بترجمة برامج العسكرية وتهيئة الكوادر والخبرات العسكرية في مرحل متقدمة من عمر الجماعة، وتركزاً على التأهيل البدني، ونشر روح الانضباط والجنديّة بين شباب الإخوان، حيث اقيمت المعسكرات والدورات التدريبية وتم تعريف الشباب الإخواني على الأسلحة وتعليمه كيفية استخدامها، ومن ثم تشكيل فرق عسكرية مؤهلة للتحرك، حيث الاستفادة الكبيرة من الحرب في فلسطين، عبر إرسال المقاتلين الإخوان والذين اكتسبوا خبرة ودراية كبيرة في القتال والتعامل مع الأسلحة المختلفة. هذا طبعا فضلا عن مقاومة الاحتلال البريطاني وشن عمليات عسكرية الطابع ضد معسكراته داخل الأراضي المصرية.

**المطلب الثاني: مرحلة الصدام المباشر مع الدولة:**

(١) العطار، حسني محمد: الإخوان المسلمون شهادة لله والتاريخ. مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر، غزة، فلسطين. الطبعة الأولى ٢٠٢٠. ص ١٢٢ و١٢٣

(٢) رمضان، عبد العظيم: الإخوان المسلمون والتنظيم السري، مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٧١.

(٣) مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور، مصدر سبق الإشارة إليه. ص ٧٥ و٧٦.

لقد لعب النظام الخاص دوراً محورياً في الصراع السياسي بين جماعة الإخوان المسلمين من جهة وبين القصر والانكليز من جهة أخرى، وذلك عبر شن سلسلة واسعة من الاغتيالات طالت شخصيات كبيرة في الحكومة، بالإضافة إلى اعمال التخريب والتفجير بحق المنشآت العسكرية والمدينة والمراكز التجارية والملاهي ومحال اليهود. وكانت الحكومة قد اكتشفت ملفات الجهاز الخاص عبر أجهزتها المعنية، هذا فضلا عن حادثة سيارة الجيب عام ١٩٤٨، والتي ضبطتها السلطات، وكانت تحمل وثائق وخطط النظام الخاص في شن الهجمات على مصالح حكومية وشخصيات سياسية، وعلى الانكليز ودور اليهود، فضلا عن ضبط مجموعة من الأسلحة فيها.

وكان لعبد الرحمن السندي الدور المركزي في اصدار الأوامر لخلايا النظام الخاص باغتيال الساسة وتفجير المنشآت، " حفل تاريخ النظام الخاص بالعديد من عمليات الاغتيال ضد شخصيات سياسية وقضاة وعلى سبيل المثال لا الحصر من العمليات التي نفذها النظام الخاص كانت، محاولة اغتيال رئيس الوزراء المصري النحاس باشا أوائل سبتمبر ١٩٤٥، ثم اغتيال القاضي أحمد الخزندار في ٢ مارس ١٩٤٨، وبعدها اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، ثم اغتيال المهندس السيد فايز عبد المطلب، وهو أحد أعضاء النظام الخاص على خلفية خلاف مع بعض قادته بعلبة حلوى مفخخة، تبعها تصفيات جسدية لعدد من أعضاء النظام الخاص، نسبت إلى عبد الرحمن السندي ورفاقه المفصولين. كما اعتمد النظام الخاص اسلوب التفجيرات والاغتيالات السياسية والشخصية، كأحد أبرز العمليات السرية الخاصة ضد الأفراد والمنشآت البريطانية وخاصة في عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي" (١).

وهناك من يخلي جانب حسن البنا في إصدار أوامر الاغتيالات والتصفية بحق السياسيين في العهد الملكي، ويعزون ما حصل إلى مبادرة فردية قام بها قائد النظام الخاص عبد الرحمن السندي، " لقد قام الشيخ حسن البنا بخلق شعور مكثف وعسكري للهوية الإسلامية عبر الحشد المتواصل للتفاصيل الدينية، وأشعل في أتباعه الحماسية الجهادية دون رابط. فالشيخ حسن البنا لم يضع لمؤسسة الإخوان المسلمين التي كوّنها مرجعية لها حق الفصل في الأمور، وأطلق كل شيء للفتوى الفردية" (٢).

لكن الصدام بين جماعة الإخوان المسلمين والقصر قد وصل إلى مرحلة متقدمة، وكان القرار بعد اغتيال النقراشي قد صدر بتصفية الجماعة والقضاء عليها. وبدأت الحكومة الملكية بملاحقة كل شخص يُعتقد بأنه من جماعة الإخوان المسلمين، وكان الهدف تصفية القادة وأعضاء النظام الخاص جسديا وسياسيا واجتثاث كل خلاياهم. وقد قررت الأجهزة الأمنية المختصة بملف الإخوان المسلمين، والتي كانت تترصد كل اجتماعات تنظيمهم السري، إجبار المرشد العام حسن البنا على إصدار فتوى ضد قاتل النقراشي، وضد

(١) المصدر السابق، ص ٩٢.

(٢) المولي، سعود: الإخوان والجيش. دار المشرق. القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٧. ص ١٠٧.

كل من لجأ إلى العنف، وهكذا تم " استدراج الشيخ إلى إصدار بيانات واتخاذ مواقف تدمر سمعته السياسية وتظهره بمظهر الضعيف أمام اتباعه وجماهيره، وتؤدي إلى تدمير معنويات الإخوان المحتجزين ثم في النهاية تصفيته جسدياً بعد أن يُصفي سياسياً" (١).

وعليه فقد أنهت المرحلة الأولى من عمر النظام الخاص باغتيال المرشد حسن البنا من جانب القصر في ١٢ فبراير/ شباط ١٩٤٩، بعد فترة عنف ومضاد بين جماعة الإخوان متمثلة في جناحها العسكري النظام الخاص، وبين القصر والحكومة المعينة من قبل الملك وأجهزتها الأمنية والاستخباراتية. وكان هدف السلطات الملكية في هذه الفترة إجتثاث الإخوان والحق أكبر الضربات منهم من نواحي التنظيم والقيادات الفعالة والمؤثرة.

وبعد اندلاع ثورة يوليو عام ١٩٥٢ والتي قادها الضباط الأحرار، بدت العلاقات بين النظام الخاص ومجلس قيادة الثورة، وبشكل خاص الضابط جمال عبد الناصر جيدة جداً، حيث أن " الضباط الأحرار اعتمدوا على النظام الخاص لجهة تأمين الثورة والحفاظ على زخمها، والتصدي لمحاولات إجهاضها، خصوصاً أن عبد الرحمن السندي كان مقرباً من عبد الناصر وهو من الإخوان القلائل الذين كانوا على علم بحدوث الثورة " (٢).

ولكن الخلافات ما لبثت أن دبّت بين الجماعة وبين الضباط الأحرار، وذلك على خلفية التنافس على الحكم والرغبة في السيطرة على مقاليد السلطة في البلاد. وفي نفس الأثناء شهد النظام الخاص نفسه خلافات داخلية بين الأعضاء المؤثرين، وخلافات بين رئيس التنظيم عبد الرحمن السندي والمرشد العام الجديد حسن الهضيبي، والتي أدت بدورها إلى تعزيز ميول التطرف والتشدد والرهان على الصدام العسكري والحل الأمني، وظهور حالة من الفوضى تجلت في اتخاذ قرارات باستهداف مصالح الدولة والنظام الجديد، " ولم تكن حادثة المنشية التي أطلق فيها النار على جمال عبد الناصر في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ أثناء إلقاء خطاب في ميدان المنشية في الاسكندرية، احتفالاً بتوقيع اتفاقية الجلاء وخروج قوات الاحتلال البريطاني من مصر، إلا مسوغاً لانطلاقة صدام ممتد بين ناصر والجماعة، حيث جرى اعتقال المئات من الإخوان، بينما هربت أعداد أخرى منهم إلى الخارج " (٣).

وكان من بين من تم اعتقالهم سيد قطب، والذي بقي في سجون عبد الناصر من الفترة ما بين ١٩٥٤ و١٩٦٤، حيث أظهر فيها تطرفاً شديداً، مطوّراً نظريات التكفير و"الحاكمية لله" ووجوب التخلص من الحاكم المستبد وإعلان دولة الخلافة والشريعة، معتمداً على القوة والعنف. وبعد خروجه من السجن عمد سيد قطب إلى إحياء النظام الخاص، الذي كانت أجهزة أمن وشرطة عبد الناصر قد تمكنت من إلحاق

(١) السعيد، رفعت: حسن البنا: متى، كيف ولماذا؟. دار الطليعة الجديدة، دمشق، سورية، الطبعة العاشرة ١٩٩٧. ص ٢١١.

(٢) ميتشل، ريتشارد: الإخوان المسلمون. الجزء الأول. ترجمة: عبد السلام رضون. بدون تاريخ ومكان النشر. ص ١٢٥.

(٣) مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور. مصدر سبق الإشارة إليه. ص ١٢٧.

ضربات قوية به بعد حادثة محاولة اغتيال ناصر في المنشية. ووضع قطب بعد خروجه من السجن عام ١٩٦٤ مخططاً شاملاً لشن أعمال تخريب واغتيالات في البلاد، بغية خلق نوع من الفوضى واللبلة، بهدف تثوير الشعب ضد عبد الناصر وحكم العسكر، و" عليه اكتشفت قوات الأمن المصرية في صيف عام ١٩٦٥ هذا التنظيم وقامت بإلقاء القبض على أعضائه، وكما قال علي عشاوي تصرفات السلطات بسرعة وبقوة لتفكيك خلايا التنظيم، واستكمال تفكيك جماعة الإخوان المسلمين، وحُكم على قطب بالإعدام عام ١٩٦٦، إلا أن إعدامه دفع باتجاه ظهور العديد من الموجات الجهادية فيما بعد " (١).

وأدت فترة السجن في عهد عبد الناصر إلى تبلور فكر أكثر تطرفاً وتشدداً على قاعدة العمل المسلح العسكري، سمي لاحقاً بالفكر القطبي أو التيار القطبي، والذي طرح تشكيلات عسكرية مستقلة خارج عباءة النظام الخاص التابع لجماعة الإخوان المسلمين، ولكنها مستقاة من فكر سيد قطب، وتبنى المنهج الذي كان يسير عليه هو ورفاقه من قادة وكوادر التنظيم العسكري الخاص، " القضية ليست قضية "الفنية العسكرية" و لا قضية "صالح سرية"، ولكنها في حقيقة الأمر هي نفس قضية حسن البناء، هي بعينها نفس قضية يوسف طلعت وإبراهيم الطيب ومحمد فرغلي وعبد القادر عودة ومحمد هواش وعبد الفتاح اسماعيل، هفي نفسها نفس قضية سيد قطب وغيرهم من شهداء المسلمين" (٢).

ويعتبر سيد قطب المفكر والمرجعية للتيار الجهادي المراهن على العنف والقوة لإحداث التغيير السياسي، ونهضت على أفكاره تنظيمات جهادية كثيرة داخل وخارج مصر، و" هذه التنظيمات والجماعات، خاصة التي ظهرت بعد إعدامه، كانت كلها قائمة على أفكاره: من تنظيم صالح سرية إلى جماعة شكري مصطفى، فضلاً عن مختلف التنظيمات القطبية، التي ظهرت وتظهر حتى اليوم. لو راجعنا تنظيم القاعدة فلن تجد له أساساً فكرياً أو فقهياً غير أفكار سيد قطب كما صاغها - أخيراً - في المعالم. وكذلك الحال بالنسبة للجماعات التي تدخلت تحت ما يسمى بالسلفية الجهادية، كلها تعود إلى أفكاره هو" (٣).

وبعد وفاة المرشد الثاني للجماعة حسن الهضيبي عام ١٩٧٣، شهدت الجماعة صداماً بين قيادات النظام الخاص وما عرف بالتيار التجديدي الذي قاده المرشد الثالث عمر التلمساني، وكانت لهزيمة ١٩٦٧ أبغ الأثر في قرار التلمساني إجراء مراجعة، حيث " أتجهت جماعة الإخوان المسلمين إلى استقطاب شباب الجماعات الإسلامية في الجامعات، ودعا التلمساني إلى تكوين حزب سياسي في ظل قرار الدولة باستمرار سريان قرار حل الجماعة، لكن دعوته لم تلق رضا قادة الحرس القديم" (٤).

(١) نفس المصدر، ص ١٢٩.

(٢) نوح، مختار: موسوعة العنف في الحركات الإسلامية المسلحة: ٥٠ عاماً من الدم. سما للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٤. ص ١٠٩.

(٣) النمنم، حلمي: سيد قطب سيرة التحولات. دار الكرامة. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٤. ص ١٧٧.

(٤) نوح، مختار: موسوعة العنف في الحركات الإسلامية المسلحة: ٥٠ عاماً من الدم. مصدر سبق ذكره. ص ١٢٩.



وبقيت القيادات الاخوانية، ومن بينها عدد كبير من قادة وكوادر النظام الخاص، في السجن إلى حين وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتسلم نائبه أنور السادات الحكم في عام ١٩٧٠. ورغم ما قيل عن حدوث مراجعات في السجن والميل إلى نبذ اللجوء إلى العنف وإحداث التغيير بالقوة، إلا أن التشدد لازم قادة النظام الخاص، وعكفت هذه القيادات " على إعادة ترتيب صفوف الجماعة، وجلبهم كانوا تقريباً من أعضاء النظام الخاص، يعملون بدرجات متفاوتة من السرية والانضباط العسكري والبعد عن العمل العام، ليضيفوا على الجماعة المزيد من التشدد بعد حصولهم على عضوية مكتب الإرشاد، ومنهم مصطفى مشهور وأحمد الملت وحسني عبد الباقي وكمال السنانيري وأحمد حسنين " (١).

وعليه يمكن القول بأن هذه الكوادر عمدت إلى إحياء التنظيم الخاص من جديد ووضعت الأساس له وهي في سجون عبد الناصر، حيث " استكمل هذا التنظيم تشكيلاته فور خروج الإخوان من السجون عام ١٩٧٥، بتجنيد كثيرين من شباب الجماعات الإسلامية في فترة السبعينيات " (٢).

وبعد استلام أنور السادات الحكم في مصر عام ١٩٧٠ أطلق مرحلة انفتاح سياسي، شاركت فيها جماعة الإخوان المسلمين أيضاً، " عندما تولى السادات حكم مصر كان المجتمع المصري يعاني من تدني الروح المعنوية بعد هزيمة ١٩٦٧، وسيطرة مراكز القوى اليسارية على مقاليد الدولة، ولجأ السادات إلى التيار الديني لاستئصال الفكر الناصري واليساري، وعرض على عمر التلمساني مرشد الجماعة وقتها بممارسة العمل الدعوي دون الإنخراط العمل السياسي، ووافق الإخوان على ذلك، ولكن يبدو أن موافقة الإخوان كانت لها أهداف خاصة بهم، فكان هدفهم في ذلك: إعادة بناء التنظيم وتجنيد أعضاء جدد، بعد فترة الحبس الطويلة لأعداد كبيرة في فترة عبد الناصر، وقد حصل ذلك بشكل تدريجي فقد أخرجهم السادات من السجون، وأعاد إليهم أموالهم ومقارهم، وسمح لهم بإعادة إصدار مطبوعاتهم، وإقامة الندوات واللقاءات العامة، وممارسة كل أنشطتهم " (٣).

إذن توجهت جماعة الإخوان المسلمين إلى بناء هيكلها، ومن ضمنها النظام الخاص، ولكن بشكل هادئ يراعي حساسية المرحلة، وعدم الرغبة في استعداد نظام السادات، الذي أخرج كوادر وقيادات الجماعة من السجون، ومنحهم فرصة للتحرك والعمل الاجتماعي والسياسي غير المرخص، على ألا يزعجوا النظام بتحريض الشارع عليه والدعوة للتظاهر ضد سياساته.

وفي هذه المرحلة ظهرت العديد من الجماعات الإسلامية العنيفة بعد خروج كوادر متطرفة من الإخوان المسلمين من السجون بعد وفاة جمال عبد الناصر، وهؤلاء بنوا أفكارهم على كتب وطروحات سيد قطب

(١) الزعفراني، إبراهيم: عمر التلمساني مرشد الإخوان وحفظ توازن القيادة، موقع (الإسلاميون) ٢٠١٦/٠١/٠٢. الرابط: <https://bit.ly/2rjiDXd>

(٢) فايز، سامح: الإخوان والعمل السري: آخر العمليات الفاشلة للنظام الخاص. موقع (حفريات) ٢٠١٩/٠٩/٢٦، الرابط: <https://bit.ly/2RVul.sx>

(٣) عبد الفتاح عبد العزيز داود، مي: نشأة جماعة الإخوان المسلمين وعلاقتها ببعض نظم الحكم في مصر: قراءة سوسيولوجية. مجلة البحث العلمي في الآداب. جامعة عين شمس، مصر. العدد ١٩، ٢٠١٨.

حصراً، وتوجهوا إلى تكفير الدولة والمجتمع، معلنين بذلك الانشقاق الفكري والتنظيمي عن الجماعة الأم، والتي اعتبروها مهادنة لنظام السادات، وتفاعست عن الجهاد، " وقد تشكل تنظيم سري في السجون إبان السبعينات من القرن الماضي، بعد وفاة عبد الناصر، بإشراف مصطفى مشهور، واستكمل هذا التنظيم تشكيلاته فور خروج الإخوان من السجون عام ١٩٧٥، بتجنيد كثيرين من شباب الجماعات الإسلامية في فترة السبعينيات. وفي الوقت نفسه، قامت مجموعات إسلاموية تعتنق الفكر القطبي بتوجيه ضربات منظمة خلال فترة حكم السادات، مثل تنظيم الفنية العسكرية، وتنظيم الجهاد المصري، وجماعة التفكير والهجرة " <sup>١</sup>.

وفي ظل انشغال جماعة الإخوان المسلمين بالعمل السياسي والتنظيمي، مستغلة جو الحرية النسبي الذي أمنه نظام السادات، وتغاضيه عن نشاط الإخوان، مقابل التشدد مع اليساريين والناصريين، بدت الجماعات الإسلامية التكفيرية، تزيد من حدة خطابها المتطرف، وتسارع في السيطرة على الشارع الإسلامي، عبر رفع شعارات الجهاد وتكفير النظام ورأسه، وهو ما أدى في النهاية إلى صدام مع الدولة، ونجاح إحدى هذه الجماعات، وهو تنظيم الجهاد الإسلامي المتطرف، في اغتيال رأس الدولة أنور السادات.

والأسباب التي دفعت بتنظيم الجهاد الإسلامي إلى اغتيال السادات متشعبة، تمتد إلى هزيمة ١٩٦٧ والأزمات الاقتصادية والمعيشية، وسياسات الانفتاح الاقتصادي والتغريب، إضافة طبعاً إلى السبب الرئيسي الأهم والأكبر، وهو زيادة السادات للقدس عام ١٩٧٧ واتفاقية السلام التي أبرمها مع إسرائيل عام ١٩٧٩، وهو ما اعتبره تنظيم الجهاد وعموم الجماعات الإسلامية خيانة وتفريطاً دينياً في فلسطين الإسلامية لصالح دولة اليهود، " لعبت سياسة الصلح مع إسرائيل دوراً رئيسياً في التمهيد لعملية اغتيال السادات، ثم دوراً موازياً في إعطاء حركة الإحياء الإسلامي في السبعينيات مبرراً دينياً قوياً لمعارضة النظام ولمحاولة ضربه، لأنه فرط في واجب ديني وهو واجب تحرير القدس، وأدت سياسة الصلح مع إسرائيل التي قننتها اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ إلى تدهور العلاقة بين النظام السياسي وبين حركة الإحياء الإسلامي على اختلاف تنظيماتها - وتحديداً الجماعات الإسلامية بالجامعة - والتي شرعت فور زيادة السادات للقدس عام ١٩٧٧ ثم توقيعه بتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ في إحداث اضطرابات ومظاهرات في عدد من الجامعات الرئيسية مثل القاهرة، عين شمس، أسيوط، نتج عنها سوء العلاقات مع النظام السياسي، وساعد في تصعيدها الموقف المعادي للسادات من الثورة الإيرانية، فضلاً عن محاولات توظيفه لقضية تطبيق الشريعة الإسلامية لأهدافه السياسية " <sup>(٢)</sup>.

(١) مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور. مصدر سبق الإشارة إليه. ص ١٣٢.

(٢) سيد أحمد، رفعت: كلمة في تقديم كتاب يوم قتل السادات: أسرار قصة الإغتيال كاملة من وجهة النظر الإسرائيلية. تأليف: عويد جرانوت وجاك ريننج. ترجمة: محمد أمين فتح الفتوح وحسام الدين رشاد. مكتبة رجب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٥. ص ٩.

وفي عهد الرئيس حسني مبارك حاولت الجماعة المشاركة في العملية السياسية، معلنة رفض العنف ونبذته، بتأثير واضح من المرشد عمر التلمساني، ولكن الأمور تغيرت بعد فترة التلمساني (توفي ١٩٨٦) وخليفته محمود أبو النصر (توفي ١٩٩٦)، وتسلم مصطفى مشهور، وهو من قادة النظام الخاص، قيادة الجماعة، وظهرت ما عرف إعلامياً بقضية "سلسبيل" التي اتهمت فيها الجماعة بالعمل على إحياء تنظيم سري عسكري يسعى لاسقاط نظام الحكم والتسلل إلى المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، بغية السيطرة عليها والاستحواذ على السلطة، حيث قبض على عدد من قيادات الجماعة، من بينهم خيرت الشاطر وحسن مالك ومحمود عزت ومحبي الدين حامد، " ولعل سيطرة الاعتبارات المتشددة على جماعة الإخوان المسلمين، كانت انعكاساً لحضور رجال النظام الخاص داخل السلطة التنفيذية ومكتب الإرشاد، وتمكينهم من إدارة شؤون الجماعة بشقيها المدني والعسكري (...)، ونذكر هنا بتظاهرة قام بها طلاب الأزهر المنتسبون إلى جماعة الإخوان المسلمين في ديسمبر ٢٠٠٦، وكانت أشبه بعرض عسكري، وهو ما أثار غضب نظام مبارك والعديد من المصريين، ودفع الحكومة إلى الإسراع بالقبض على ٧٢ عضواً من الجماعة في منتصف فبراير ٢٠٠٧ وسحق أي إحياء للجناح العسكري لجماعة الإخوان المسلمين " (١).

وبعيد الاطاحة بنظام حسني مبارك (١٩٨١-٢٠١١) بعيد ما عرف بثورة عام ٢٠١١، وفوز مرشح جماعة الإخوان المسلمين محمد مرسي برئاسة مصر، ظهرت فكرة "التمكين" مرة أخرى لدى قيادات جماعة الإخوان المسلمين، حيث أيقنت الجماعة بأنها قادرة على ابتلاع مؤسسات الدولة المصرية وتحويلها إلى مؤسسات تابعة للجماعة وتأتي بأمرها، ولكن انقلاب الجيش على مرسي والاطاحة به بعد أشهر من المواجهات بين أنصار الجماعة وأنصار القوى الشعبية والأحزاب السياسية الراضة لنهجها، أدى إلى إفشال خطط الإخوان في الاستحواذ على الدولة ومن ثم انتقال الجماعة، مرة أخرى، إلى العمل السري.

وبعد الاطاحة بحكم الإخوان وتشدد النظام الجديد مع الجماعة، حيث اصدار أوامر الاعتقالات بحق قادة وكوادر الجماعة، ومن بينهم الرئيس السابق مرسي، ومرشد الإخوان وأعضاء مجلس الشورى، ظهر الاتجاه القطبي قوياً ضمن الجماعة، حيث الرهان مرة أخرى على العنف في وجه آلة السلطة من جيش وقوى أمنية، " ومن هنا فقد طرحت الجماعة مشروعات عدة كان أهمها ما يسمى بالمقاومة الايجابية، أو النوعية وتغطية هذه الأعمال باسم "المسار الثوري"، الذي يشمل: تعطيل أجهزة الدولة ومؤسساتها، والفعل الثوري المبدع " (٢).

(١) مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور. مصدر سبق الإشارة إليه. ص ١٣٤.

(٢) فرغلي، ماهر: كيف يتحرك العمل الإخواني المسلح في مصر. موقع (حفريات). ٢٠١٩/٠٣/٠٣. الرابط: <https://bit.ly/2Mm8bFJ>

وفي هذه الفترة ظهرت بعض الآراء والتصرفات التي تظهر عودة النهج العنفي إلى الواجهة مرة أخرى، لكن الحديث لم يتضح بشكل جلي عن التنظيم الخاص وفيما لو كان هو المكلف بالأعمال الانتقامية التي تستهدف الدولة والجيش ونظام الرئيس الجديد عبد الفتاح السيسي، ولكن " بالاستناد إلى مفهوم القصاص انطلاقاً من فتوى صدرت عام ٢٠١٥ وأجازت استخدام العنف ضد عناصر الأمن والقضاة، وحتى الصحفيين الذين يشاركون في التحريض ضد الجماعة، عوضاً إلى اللجوء إلى القضاة " (١).

ومع الخلافات الأخيرة التي ظهرت داخل صفوف قيادات جماعة الإخوان المسلمين أواخر عام ٢٠٢١، وسيطرة الدولة وقوى الأمن والجيش على المؤسسات وعموم مناحي الحياة، والشحن الإعلامي الرسمي ضد الجماعة، خفتت الأصوات المطالبة بالتحرك الثوري المعتمد على العنف والقوة، وغابت الأعمال العسكرية الانتقامية ضد الحكومة والجيش ومؤسسات الدولة، وهو ما يعني بأن النظام الخاص لم يعد قوياً وفعالاً، ولم يسجل حضوراً مهماً في الساحة المصرية، وأن هذا الغياب انعكس أيضاً في وسائل الإعلام المصرية، التي لم تعد تتحدث عن النظام الخاص ومخططاته في الاغتيالات والتخريب.

#### الخلاصة والاستنتاجات:

يمكن الخروج في نهاية البحث بمجموعة من الاستنتاجات وهي:

- ١- إن جماعة الإخوان المسلمين، ومنذ نشوئها، كانت تعطي أهمية كبيرة للقوة، وتجذب في الأخذ بأسبابها ضماناً لتحقيق أهدافها، وتؤمن بأن القوة هي الأسلوب الأكثر نجاحاً للتمكين والسيطرة، ومن ثم ترسيخ الحضور وخلق الهيبة والردع.
- ٢- إن المؤسس والمرشد الأول حسن البنا نظرٌ للقوة والجهاد بشكل واضح في الرسائل التي وجهها للجماعة، وخصص رسائل خاصة لقيادات وكوادر وأعضاء النظام الخاص، حثهم فيها بالتدريب والاستعداد لبذل النفس والمال، بغية تشكيل الجيش الإسلامي، الذي سيكون أداة إقامة دولة الشريعة.
- ٣- إن أهداف النظام الخاص كانت بالدرجة الأولى ترمي إلى إثبات قوة وحضور جماعة الإخوان المسلمين في الداخل المصري، والتصدي لخصومها من القوى السياسية، سواء في الحكم أو المعارضة. وإن الجماعة استفادت من الحرب في فلسطين، ومن مقارعة الاحتلال البريطاني لمصر، في استحصال الخبرة العسكرية اللازمة، وتكثيف التدريب وتكديس السلاح والتحصين للمواجهة في الداخل.
- ٤- إن الجماعة بدأت بفرق الرحلات والكشافة والجوالة في البداية، وذلك كأرضية لحشد الشباب وتدريبهم على روح الجندية والانضباط العسكري، مع مراعاة السرية والالتزام بالتقية، وممارسة طقوس معينة غريبة في الانضمام للنظام السري الخاص.

(١) رانكو، أنيت وياغي، محمد: تطرف وانقسام هيكلية داخل جماعة الإخوان المسلمين في مصر. موقع (معهد واشنطن للدراسات).  
٢٠١٩/٠٣/٠٤. الرابط: <https://bit.ly/397epTH>

٥- إن النظام الخاص، وبعد الحصول على الخبرة العسكرية في حرب فلسطين، وتجهيز الكتائب واستكمال الهياكل التنظيمية له، بدأ ينفذ أعمال الاغتيالات والقتل بحق رموز الدولة المصرية لدفع القصر إلى الإذعان وقبول سطوة الإخوان. وهو ما ردت عليه السلطات بعنف مضاد، واغتيال مؤسس ومرشد الجماعة حسن البنا.

٦- إن النظام الخاص كان على اتصال مع حركة الضباط الأحرار بغية اسقاط الملكية، وحدث تعاون بينهما، ولكن هذا التعاون لم يدم طويلاً، نظراً لرغبة الجماعة في توطيد أسس الدولة الدينية، ومصادرة قرار الضباط الأحرار، ومساعي تحجيم دورهم، ومن ثم محاولة اغتيال جمال عبد الناصر، وهو ما أدى إلى حدوث الصدام بين الجانبين.

٧- إن نظام عبد الناصر تعامل أمنياً مع جماعة الإخوان بعد حادثة محاولة الاغتيال، وحظر الجماعة واعتقل قياداتها وكوادرها لسنوات طويلة، ومن ثم أعدم منظرها سيد قطب.

٨- إن النظام الخاص الذي تلقى ضربات مؤثرة في عهد عبد الناصر، حاول النهوض من جديد في عهد السادات، ولكنه لم يخرج عن سياسة الجماعة في بناء الهياكل التنظيمية والسعي للحصول على الترخيص كحزب سياسي، لذلك حدثت عنه انشقاقات كثيرة، وظهرت جماعات تتبنى الفكر القطبي الجهادي المؤمن بالتغيير عبر بالقوة والعنف، والتي نجحت احداها في اغتيال السادات.

٩- إن الجماعة كانت تتحرك بشكل سري في عهد حسني مبارك، حيث ظهرت قضية "السلسيل"، كدليل على وجود النظام الخاص، ومساعي الجماعة في التمكين داخل مؤسسات الدولة ومرافقها.

١٠- إن النظام الخاص تلقى ضربة قاصمة على يد المؤسسة العسكرية التي اطاحت بالرئيس الاخواني محمد مرسي، وأعلنت جماعة الإخوان المسلمين جماعة إرهابية، وفككتها واعتقلت الكوادر والاعضاء، ولاحقت من فروا للخارج، مما أثر بشكل كبير في حضور وفاعلية التنظيم والجماعة.

#### المصادر والمراجع:

- ١- البنا، حسن: مجموع رسائل الإمام البنا. دار النداء. اسطنبول، تركيا. الطبعة الأولى ٢٠١٤.
- ٢- الباقوري، أحمد حسن: بقايا ذكريات. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٨٨.
- ٣- الزغراني، إبراهيم: عمر التلمساني مرشد الإخوان وحفظ توازن القيادة. موقع (الإسلاميون) <https://bit.ly/2rjiDXd>. الرابط: ٢٠١٦/٠١/٠٢.
- ٤- السعيد، رفعت: حسن البنا الشيخ المسلح. قطاع الثقافة. القاهرة، مصر. بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر.

- ٥- السعيد، رفعت: حسن البناء: متى، كيف ولماذا؟. دار الطليعة الجديدة. دمشق، سورية. الطبعة العاشرة ١٩٩٧.
- ٦- الشحري، أبو العباس: التنظيم السري السياسي العسكري عند الإخوان المسلمين بأقلامهم. دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- ٧- الصباغ، محمود: حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين. دار الاعتصام. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٨٩.
- ٨- العطار، حسني محمد: الإخوان المسلمون شهادة لله والتاريخ. مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر. غزة، فلسطين. الطبعة الأولى ٢٠٢٠.
- ٩- القاسمي، خالد بن محمد مبارك: الإخوان المسلمون من التكوين إلى التمكين. دار الكتب والدراسات العربية. الاسكندرية، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٦.
- ١٠- المولى، سعود: الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين. مركز المسبار للدراسات والبحوث. دبي، الامارات. الطبعة الأولى ٢٠١٢.
- ١١- المولى، سعود: الإخوان والجيش. دار المشرق. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٧.
- ١٢- النمنم، حلمي: حسن البناء الذي لا يعرفه أحد. مكتبة مدبولي. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١١.
- ١٣- النمنم، حلمي: سيد قطب سيرة التحولات. دار الكرمة. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٤.
- ١٤- رمضان، عبد العظيم: الإخوان المسلمون والتنظيم السري. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٣. ص ٣٧ و ٣٨.
- ١٥- رانكو، أنيت وياغي، محمد: تطرف وانقسام هيكلية داخل جماعة الاخوان المسلمين في مصر. موقع (معهد واشنطن للدراسات). ٢٠١٩/٠٣/٠٤. الرابط: <https://bit.ly/397epTH>
- ١٦- سيد أحمد، رفعت: كلمة في تقديم كتاب يوم قتل السادات: أسرار قصة الإغتيال كاملة من وجهة النظر الإسرائيلية. تأليف: عويد جرانوت وجاك ريننج. ترجمة: محمد أمين فتح الفتوح وحسام الدين رشاد. مكتبة رجب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٥.
- ١٧- عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل. الجزء الأول. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. الاسكندرية، مصر. الطبعة الخامسة ١٩٩٤.
- ١٨- عبد الفتاح عبد العزيز داود، مي: نشأة جماعة الإخوان المسلمين وعلاقتها ببعض نظم الحكم في مصر: قراءة سوسيولوجية. مجلة البحث العلمي في الآداب. جامعة عين شمس، مصر. العدد ١٩، ٢٠١٨.
- ١٩- عساف، محمود: مع الإمام الشهيد حسن البناء. إصدار خاص. الطبعة الأولى ١٩٩٣.



- ٢٠- فايز، سامح: الإخوان والعمل السري: آخر العمليات الفاشلة للنظام الخاص. موقع (حفريات) <https://bit.ly/2RVu1.sx> . ٢٠١٩/٠٩/٢٦
- ٢١- فرغلي، ماهر: كيف يتحرك العمل الإخواني المسلح في مصر. موقع (حفريات). ٢٠١٩/٠٣/٠٣ .  
الرابط: <https://bit.ly/2Mm8bFJ>
- ٢٢- كمال، أحمد عادل: النقاط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة، مصر. الطبعة الثانية ١٩٨٩ .
- ٢٣- كامل، عبد العزيز: في نهر الحياة. المكتب المصري الحديث. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠٠٦ .
- ٢٤- مجموعة مؤلفين: النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين: النشأة..الأهداف..التطور. مركز تريندز للبحوث والاستشارات. أبو ظبي. الامارات. الطبعة الأولى ٢٠٢٠ .
- ٢٥- ميتشل، ريتشارد: الإخوان المسلمون. الجزء الأول. ترجمة: عبد السلام رضون. بدون تاريخ ومكان النشر.
- ٢٦- نوح، مختار: موسوعة العنف في الحركات الإسلامية المسلحة: ٥٠ عاماً من الدم. سما للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠١٤ .
- ٢٧- يوسف، السيد: الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٩ .